علل الترجيح المختلف فيها للإمام البغوى-رحمه الله- فى مسائل التفسير بالرأى

الباحث / خالد طنطاوى احمد على
لدرجة الماجستير بقسم اللغة العربية

تمهـيـد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، **وبعد:**

فبالنظر والتدبر في تفسير الإمام البغوى – رحمه الله – وجدته يعتمد على التفسير بالرأي فى كتابه وتارة يقتصر فى تفسير الآية على رأى واحد له أو لأحد معاصريه من المفسرين أو السابقين عليه، وربما ذكر رأياً ثم دعمه بآية قرآنية أو حديث لرسول الله ﷺ وأحياناً كثيرة يذكر فى تفسير الآية أكثر من قول قد تصل إلى ثلاثة أقوال فى بعض المسائل ثم يعقب عليها ببيان الراجح وهذا هو محل البحث فى هذا الفصل، وربما ذكر أكثر من رأى فى تفسير الآية وتركها بدون تعقيب.

هذا وقبل الحديث عن ترجيحات الإمام البغوى فى التفسير بالرأي أذكر نبذة مختصرة عن معنى التفسير بالرأي، وموقف العلماء منه فأقول:

قال الدكتور الذهبي – رحمه الله- : (يطلق الرأى على الاعتقاد وعلى الاجتهاد، وعلى القياس)وهنا يطلق على الاجتهاد .

والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن (تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم فى القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها واستعانته فى ذلك بالشعر الجاهلى ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاج إليها المفسر) [1]

وبناءاً على ذلك؛ فلا يجوز لأحد أن يعمد إلى تفسير آية من كتاب الله تعالى إلا بعد إلمامه بهذه الأدوات جيداً والوقوف عليها.

[1] التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى ٢٤٦/١ .

أما عن موقف العلماء من التفسير بالرأى يقول – رحمه الله–:

(اختلف العلماء من قديم الزمان فى جواز تفسير القرآن بالرأى، ووقف المفسرون بإزاء هذا الموضوع موقفين متعارضين:

فقوم تشددوا فى ذلك فلم يجرؤوا على تفسير شىء من القرآن، ولم يبيحوه لغيرهم، وقالوا: لا يجوز لأحد تفسير شىء من القرآن؛ وإن كان عالماً أديباً متسعاً فى معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وإنما له أن ينتهى إلى ما روى النبى ﷺ وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة ﷺ أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين.

وقوم كان موقفهم على العكس من ذلك فلم يرو بأساً من أن يفسروا القرآن باجتهادهم، ورأوا أن من كان ذا أدب وسيع فموسع له أن يفسر القرآن برأيه واجتهاده)[1]

والفريقان على طرفى نقيض فيما يبدو، وكل يُعَزِّز رأيه ويُقَوِّيه بالأدلة والبراهين. أما الفريق الأول – فريق المانعين – قد استدَّلوا بما يأتى:

أولاً: قالوا: إن التفسير بالرأى قول على الله بغير علم، والقول على الله بغير علم منهى عنه فالتفسير بالرأى منهى عنه، دليل الصغرى: أن المفسِّر بالرأى ليس على يقين بأنه أصاب ما أراد الله تعالى، ولا يمكنه أن يقطع بما يقول، وغاية الأمر أنه يقول بالظن، والقول بالظن قول على الله بغير علم. ودليل الكبرى: قوله تعالى: {وَأَن تَقُولُواْ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ} وهو معطوف على ما قبله من المحرَّمات فى قوله تعالى فى الآية [٣٣] من سورة الأعراف: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفواحش مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} .. الآية، وقوله تعالى فى الآية [٣٦] من سورة الإسراء: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} ..

قد رَدَّ المجيزون هذا الدليل فقالوا: نمنع الصغرى. لأن الظن نوع من العلم، إذ هو إدراك الطرف الراجح. وعلى فرض تسليم الصغرى فإنَّا نمنع الكبرى، لأن الظن منهى عنه إذا أمكن الوصول إلى العلم اليقينى القطعى، بأن يوجد نص قاطع من نصوص الشرع، أو دليل عقلى موصل لذلك. أما إذا لم يوجد شئ من ذلك، فالظن كاف هنا، لاستناده إلى دليل قطعى من الله سبحانه وتعالى على صحة العمل به إذ ذاك. كقوله تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ الله

[1] المصدر السابق ٢٤٦/١ ، ٢٤٧

نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦] .. وقوله عليه الصلاة والسلام: "جعل الله للمصيب أجرين وللمخطئ واحداً"(١)(٢)

ثانياً: استدلوا بقوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذكر لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} ، فقد أضاف البيان إليه، فعُلِمَ أنه ليس لغيره شئ من البيان لمعانى القرآن.

وأجاب المجيزون عن هذا الدليل فقالوا: نعم إنَّ النبى صلى الله عليه وسلم مأمور بالبيان ولكنه مات ولم يبيِّن كل شئ فما ورد بيانه عنه – صلى الله عليه وسلم – ففيه الكفاية عن فكره من بعده، وما لم يرد عنه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده، فيستدلون بما ورد بيانه على ما لم يرد، والله تعالى يقول فى آخر الآية: {وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} .

ثالثاً: استدَّلوا بما ورد فى السُّنَّة من تحريم القول فى القرآن بالرأى فمن ذلك:

ما رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم، فمَن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومَن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"(٣) (٤)

وأجاب المجيزون بأن النهى محمول على مَنْ قال برأيه فى نحو مشكل القرآن، ومشتابهه، من كل ما لم يُعلم إلا عن طريق النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة عليهم رضوان الله.

ومنها: أنه أراد – بالرأى – الرأى الذى يغلب على صاحبه من غير دليل يقوم عليه، أما الذى يشده البرهان، ويشهد له الدليل، فالقول به جائز، فالنهى على هذا متناول لمن كان

---

(١) المصدر السابق (٢٤٨،٢٤٩/١)

(٢) (متفق عليه) من حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة: حديث عمرو بن العاص؛ رواه البخاري، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٧٣٥٢)، ومسلم، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٧١٦)، وابن ماجه، باب: ما جاء في الحاكم يصيب الحق (٢٣١٤). وحديث أبي هريرة رواه البخاري، ومسلم في الشواهد في المواضع السابقة، والترمذي، باب: ما جاء في الحاكم يصيب ويخطئ(١٣٢٦)، وأبو عوانة، باب: ما للحاكم من الأجر (٥١٦٧)، وابن الجارود في "المنتقى" باب: ما جاء في الأحكام (٩٩٦)، وأبو يعلى في "مسنده" (٥٩٠٣).

(٣) المصدرالسابق (٢٥١/٢٥٠)

(٤)سنن الترمذي - تفسير القرآن (٢٩٥١) ، مسند أحمد - من مسند بني هاشم (٢٣٣/١) مسند أحمد - من مسند بني هاشم (٢٦٩/١)

وقال الألبانى ضعيف، المشكاة (٢٣٥) ، نقد التاج، الضعيفة (١٧٨٣) ، صفة الصلاة // ضعيف الجامع الصغير وزيادته (١١٤)

يعرف الحق ولكنه له فى الشئ رأى وميل إليه من طبعه وهواه، فيتأوَّل القرآن على وفق هواه، ليحتج به على تصحيح رأيه الذى يميل إليه[١]

رابعاً: ما ورد عن السَلَف من الصحابة والتابعين، من الآثار التى تدل على أنهم كانوا يُعَظِّمون تفسير القرآن ويتحرَّجون من القول فيه بآرائهم. ورد عن فاروق الأمة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قوله: (اتقوا الرأي في دينكم) [٢] وقال: (إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن. أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا برأيهم، فضلّوا وأضلوا) [٣] وورد عن الحسن البصري) ت: ١١١ قوله: (اتهموا أهواءكم ورأيكم على دين الله، وانتصحوا كتاب الله على أنفسكم ودينكم) [٤][٥]

وقد أجاب المجيزون عن هذه الآثار: بأن إحجام مَن أحجم من السَلَف عن التفسير بالرأى، إنما كان منهم ورعاً واحتياطاً لأنفسهم، مخافة ألا يبلغوا ما كُلِّفوا به من إصابة الحق فى القول، وكانوا يرون أن التفسير شهادة على الله بأنه عَنِى باللفظ كذا وكذا، فأمسكوا عنه خشية **أن لا يوافقوا مراد الله عَزَّ وجَلَّ، وكان منهم مَن يخشى أن يُفسِّر القرآن برأيه فيُجعل فى التفسير إماماً يُبنَى على مذهبه ويُقتفَى طريقه، فربما جاء أحد المتأخرين وفسَّر القرآن برأيه فوقع فى الخطأ، ويقول: إمامى فى التفسير بالرأى فلان من السَلَف**[٦].

وأما الفريق الثانى – فريق المجوِّزين – فقد استدلوا على ما ذهبوا إليه بما يأتى:

أولاً: بنصوص كثيرة وردت فى كتاب الله تعالى: منها قوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ على قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ..} [محمد: ٢٤] وقوله: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ليدبروا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ الألباب} [ص: ٢٩] .. وقوله: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرسول وإلى أُوْلِي الأمر مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الذين يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: ٨٣] ، ووجه الدلالة فى هذه الآيات: أنه تعالى حَثَّ

---

[١] (المصدر السابق(٢٥٢/١)

[٢] المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقى ١٩٠، وانظر ص١٩٢الأثر رقم(٢١٧)

[٣] المدخل إلى السنن الكبرى ،١٩١وانظرقولالمسروق فى جامع بيان العلم (١٦٨/٢)وقولاللزهرى (١٦٩/٢)

[٤] المدخل إلى السنن الكبرى (١٦٩)

[٥] انظرالتفسير بالرأى لمساعد الطيار(٢)

[٦] (التفسروالمفسرون (٢٥٤/١)

فى الآيتين الأوليين على تدبر القرآن والاعتبار بآياته، والاتعاظ بعظاته، كما دلّت الآية الأخيرة على أن فى القرآن ما يستنبطه أُولوا الألباب باجتهادهم، ويصلون إليه بإعمال عقولهم، وإذا كان الله قد حثَّنا على التدبر، وتعبَّدنا بالنظر فى القرآن واستنباط الأحكام منه، فهل يُعقل أن يكون تأويل ما لم يستأثر الله بعلمه محظوراً على العلماء، مع أنه طريق العلم، وسبيل المعرفة والعظة؟ لو كان ذلك لكنَّا مُلْزَمين بالاتعاظ والاعتبار بما لا نفهم، ولما توصلنا لشئ من الاستنباط، ولما فُهِم الكثير من كتاب الله تعالى.

ثانياً: قالوا: لو كان التفسير بالرأى غير جائز لما كان الاجتهاد جائزاً، ولتعطل كثير من الأحكام، وهذا باطل بَيِّنُ البطلان، وذلك لأن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً إلى اليوم أمام أربابه، والمجتهد فى حكم الشرع مأجور، أصاب أو أخطأ، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يُفسِّر كل آيات القرآن، ولم يستخرج لنا جميع ما فيه من أحكام.

ثالثاً: قالوا: إنَّ النبى صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضى الله عنهما، فقال فى دعائه له: "اللَّهم فقهه فى الدين، وعلِّمه التأويل" فلو كان التأويل مقصوراً على السماع والنقل كالتنزيل، لما كان هناك فائدة لتخصيص ابن عباس بهذا الدعاء، فَدَلَّ ذلك على أن التأويل الذى دعا به الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس أمر آخر وراء النقل والسماع، ذلك هو التفسير بالرأى والاجتهاد، وهذا بَيِّنٌ لا إشكال فيه[1].

حقيقة الخلاف:

لو رجعنا إلى هؤلاء المتشدِّدين فى التفسير وعرفنا سر تشددهم فيه، ثم رجعنا إلى هؤلاء المجوِّزين للتفسير بالرأى ووقفنا على ما شرطوه من شروط لا بد منها لمن يتكلم فى التفسير برأيه، وحلَّلنا أدلة الفريقين تحليلاً دقيقاً، لظهر لنا أن الخلاف لفظى لا حقيقى، ولبيان ذلك نقول:

الرأى قسمان: قسم جار على موافقة كلام العرب، ومناحيهم فى القول، مع موافقة الكتاب والسُنَّة، ومراعاة سائر شروط التفسير، وهذا القسم جائز لا شك فيه، وعليه يُحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأى.

---

[1] المصدر السابق (٢٥٥/١)

وقسم غير جار على قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير، وهذا هو مورد النهى ومحط الذم

وقد قال ابن تيمية – بعد أن ساق الآثار عَمَّن تحرَّج من السَلَف من القول فى التفسير –: فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السَلَف، محمولة على تحرجهم عن الكلام فى التفسير بما لا علم لهم به، فأما مَن تكلَّم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حَرَج عليه، ولهذا رُوِى عن هؤلاء وغيرهم أقوال فى التفسير، ولا منافاة، لأنهم تكلّموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، هذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا عمل له به، فكذلك يجب القول فيما سُئِل عنه مما يعلمه، لقوله تعالى: {لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ} [آل عمران: ١٨٧] ..

ولما جاء فى الحديث المروى من طرق: "مَنْ سُئِلَ عن علم فكتمه أُلْجِمَ يوم القيامة بلجامٍ من نار"[١][٢].

فمن فسر القران برأيه ملتزما الوقوف عند هذه الماخذ معتمدا عليها فيما يرى من معانى كتاب الله كان تفسير سائغا جائزابأن يسمى بالتفسير المحمود ومن حاد عن هذه الأصول وفسر القران غير معتمد عليها كان تفسيره ساقطا مرزولا خليقابأن يسمى التفسير المذموم.

ومن الأمور التى يجب البعد عنها فى التفسير بالرأى أهمها:

١-التهجم على تبيين مرادالله من كلامه على جهالة بقوانين اللغة أوالشريعة

٢-ومنهاحمل كلام الله على المذاهب الفاسدة

٣-ومنهاالخوض فيمااستئثرالله بعلمه

٤-ومنه القطع بأن مراد الله كذامن غيردليل.

---

[١] انظرمقدمة فى أصول التفسيرلابن تيمية(٥٠/١)

[٢] سنن الترمذي - العلم (٢٦٤٩)
سنن أبي داود - العلم (٣٦٥٨)
مسند أحمد - باقي مسند المكثرين (٢٦٣/٢) - مسند أحمد - باقي مسند المكثرين (٢٩٦/٢)
مسند أحمد - باقي مسند المكثرين (٣٠٥/٢) - مسند أحمد - باقي مسند المكثرين (٣٤٤/٢)
مسند أحمد - باقي مسند المكثرين (٣٥٣/٢) - مسند أحمد - باقي مسند المكثرين (٤٩٥/٢)
وقال الألبانى حسن صحيح ابن ماجة(٢٦٤،٢٦١)

٥-ومنهاالسيرمع الهوى والاستحسان .

ويمكن تلخيص هذه الأمورالخمسة فى كلمتين هما:الجهالة والضلالة

قيمة التفسير بالرأى :

تتضح قيمة التفسير بالرأى فيما يذكره الدكتور أبو شهبة – رحمه الله- **حيث قال:** (لو لم نفسر القرآن بالاجتهاد لفات معنى التدبر والتأمل فى القرآن الذى حثنا الله عليه فى غير آية، ولفات كثير مما اشتمل عليه الكتاب الكريم من الأحكام والآداب، وألوان المعارف والعلوم التى لا يزال يظهر منها كتاب الله كل يوم جديدا[١].

من خلال ما سبق تبينت قيمة التفسير بالرأي، والإمام البغوى – رحمه الله- أحد المفسرين الذين اعتمدوا التفسير بالرأي فى كتبهم.

[١] الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للدكتور محمد محمد أبو شهبة ، ص١١٥ ، ١١٦ ، بتصرف ، ط مجمع البحوث الإسلامية ١٤٠٤ - ١٩٨٤م.

المسألة الأولى

(سبب تسمية آدم خليفة)

عند تفسيره لقول الله تعالى:

"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ "(البقرة: ٣٠)

اراءالعلماء فى سبب تسمية ادم خليفة :

الرأى الأول : أنه سماه خليفة لأنه خلف الجن أى جاء بعدهم.

الرأى الثانى : أنه سماه بذلك لأنه يخلفه غيره.

الرأى الثالث : أن الله تعالى سماه كذلك لأنه جعله خليفة فى أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه وأوامره.

ترجيح الإمام البغوى –رحمه الله تعالى:

أجده . رحمه الله . يذكر السبب فى تسمية آدم . عليه السلام . خليفة **فيقول :**

والمراد بالخليفة هاهنا آدم سماه خليفة؛ لأنه خلف الجن أي جاء بعدهم، وقيل لأنه يخلفه غيره، **والصحيح** أنه خليفة الله في أرضه؛ لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه.[1]

دراسة النص

مما ذكر يظهر أن الإمام يبين السبب وراء تسمية الله عز وجل لسيدنا آدم . عليه السلام . خليفة ذاكراً ثلاثة أراء فى المسألة :

الرأى الأول : أنه سماه خليفة لأنه خلف الجن أى جاء بعدهم.

الرأى الثانى : أنه سماه بذلك لأنه يخلفه غيره.

الرأى الثالث : أن الله تعالى سماه كذلك لأنه جعله خليفة فى أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه وأوامره.

---

[1] انظر: معالم التنزيل ٧٩/١ .ولم أقف على قائل هذا القول فى معظم كتب التفسير كلباب التأويل في معاني التنزيل للخازن وتفسير القرآن للسمعانى وكذلك أضواء البيان للشنقيطى بل المذكور القول فقط دون نسبة.

وهذا الرأى هو الذى ارتضاه الإمام ورجحه على غيره ويتضح ذلك من خلال وصفه بقوله (**والصحيح**)

التعليق

وهو محق فى هذا وترجيحه هو القول السديد فى المسألة والله أعلم وذلك لما يلى :

أولاً : لأنه من المعروف عند علماء التفسير أنهم إذا تنازعوا حول تفسير آية أو جملة أو لفظة من كتاب الله تعالى فأولى الأقوال بالصواب هو القول الذى يوافق استعمال القرآن فى غير موضع النزاع. سواء أكان ذلك فى الألفاظ المفردة أم فى التراكيب وسواء أكان ذلك الاستعمال استعمالاً أغلبيا . بأن كان لموضع النزاع نظائر وقع فيها النزاع ولكن الكثرة الكائرة من الاستعمال هى مما اتفق على معناه- أم مطرداً بأن يكون استعمالها فى جميع مواردها فى القرآن متفقا عليه غير موضع الخلاف بأن يقول مفسر قولاً فى آية جميع نظائرها فى القرآن على خلاف هذا القول . أم عادة فى أسلوب القرآن.

وعلى هذا فإن هذا القول الذى رجحه الإمام تؤيد معناه آية أخرى فى كتاب الله عز وجل ألا وهى قول الله تعالى لسيدنا داود . عليه السلام . فى سورة ص: "**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ** "**ص: ٢٦** وبما أنه كذلك فهو الأولى بتفسير الآية **وفى ذلك يقول الإمام الرازى :**

إنما سماه الله خليفة، لأنه يخلف الله في الحكم بين المكلفين من خلقه وهو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والسدي وهذا الرأي متأكد بقوله : "**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ** " **ص: ٢٦** . [١]

وهذا القول تعضده القاعدة الترجيحية التى تقول:**(حمل معانى كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك)** [٢] ويشهد له كذلك قاعدة(**القول الذى تؤيده آية قرآنية مقدم على ما عدم من ذلك**)

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب ١٥٢/٢

[٢] انظر: قواعد الترجيح ص١٧٢

ثانياً : ورود بعض الآثار التى تقوى هذا الرأى ومن ذلك :

١. ما رواه الطبري عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[١] قال: (قال الله للملائكة: إني أريد أن أخلق في الأرض خلقاً، وأجعل فيها خليفة، وليس لله عز وجل خلق إلا الملائكة، والأرض ليس فيها خلق. قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها). [٢]

٢- ما رواه الطبري من طريق السدي في تفسيره بأسانيده عن عبد الله بن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة رضي الله عنهم: (أن الله تعالى قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة. قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال: يكن له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً). [٣]

ووجه الدلالة من هذين الأثرين: أنه تعالى قد أضاف الإفساد وسفك الدماء إلى ذرية خليفته دونه وذلك فى قوله تعالى: "أتجعل فيها من يُفسد فيها" ، فدل ذلك على أنه خليفة عنه.

يقول الإمام الطبرى بعد ذكره لهذين الأثرين :

فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس: إني جاعل في الأرض خليفةً منّي يخلفني في الحكم بين خلقي. وذلك الخليفة هو آدمُ ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه. وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها، فمن غير خلفائه، ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله-لأنهما أخبرَا أن الله جل ثناؤه قال لملائكته-إذ سألوه: ما ذاك الخليفة؟=: إنه خليفة يكون له ذُرّية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضًا.فأضاف الإفساد وسفك الدماء بغير حقها إلى ذُرّية خليفته

---

(١) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: مولى عمر بن الخطاب القرشي. المديني عن أبيه، وأبي حازم، ضعفه علي جدا، قال إبراهيم بن حمزة أظنه قال: مات سنة ثنتين وثمانين. انظر: الضعفاء للبخاري ٨٤/١ ، ط : مكتبة ابن عباس ، والضعفاء للأصبهاني ١٠٢/١ ، تحقيق : فاروق حمادة ، ط : دار الثقافة - الدار البيضاء ، والضعفاء والمتروكين للنسائي ٦٦/١ ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، ط : دار الوعي - حلب

(٢) هذا الأثر ذكره ابن جرير ولم يعقب عليه بشيء وكذلك ذكره ابن كثير فى تفسيره، انظر: جامع البيان ٤٥١/١ ، وانظر: تفسير القرآن العظيم ٢١٨/١ ، ولم أقف عليه فى معظم كتب المتون كالصحيحين وكتب السنن وموطأ الإمام مالك وكذلك كتب المسانيد .

(٣) جامع البيان ٤٥٢/١ ، ورواه ابن كثير عن ابن مسعود ولم يعلق عليه بشيء . انظر: تفسير القرآن العظيم ٢٢٩/١

دونه، وأخرج منه خليفته. [١]

أقول: وعلى ذلك فإن هذين الأثرين يقويان ما رجحه الإمام وذلك من وجهين:

الأول: عملاً بالقاعدة الترجيحية التى تقول : **(إذا ثبت الحديث وكان فى معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه)** [٢]

الوجه الثاني: أن هذين الأثرين وردا عن حبر الأمة ابن عباس وكذلك ابن مسعود . رضى الله عنهم . وبما أنهما كذلك فإن العلماء قد أجمعوا على ترجيح قول **(من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عباس لدعاء الرسول له بقوله اللهم فقه فى الدين وعلمه التأويل)** [٣]وكذلك **(لا يعارض بالقول الشاذ ما استفاض به القول من الصحابة والتابعين)** [٤]

ثالثاً: أن هذا الذى قال به الإمام هو قول جمهور المفسرين فقد قال به الطبرى ورجحه السمعاني ، والخطيب الشربينى، والقرطبي [٥]ونسبه إلى ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وجميع أهل التأويل.

يقول الألوسي:

ومعنى كونه خليفة أنه خليفة الله تعالى في أرضه ، وكذا كل نبي استخلفهم في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى ولكن لقصور المستخلف عليه[٦] **ويقول القرطبى:**

والمعني بالخليفة هنا – في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل – آدم

---

[١] المرجع نفسه ٤٥٢/١

[٢] قواعد الترجيح ص٢٠٦

[٣]هَذِهِ اللَّفْظَةُ اشْتُهِرَتْ عَلَى الْأَلْسِنَةِ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ حَتَّى نَسَبَهَا بَعْضُهُمْ لِلصَّحِيحَيْنِ وَلَمْ يُصِبْ ، وَالْحَدِيثُ عِنْدَ أَحْمَدَ بِهَذَا اللَّفْظِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ خَيْثَمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ مِنْ وَجْهَيْنِ آخَرَيْنِ ، وَأَوَّلُهُ فِي هَذَا الصَّحِيحِ مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ دُونَ قَوْلِهِ : " وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ " صحيح البخاري (١/ ٤١ رقم)١٤٣. صحيح مسلم(٤/ ١٩٢٧) رقم ٢٤٧. مسند الإمام أحمد(٤/ ٢٢٥) رقم ٢٣٩٧،(٥/ ٦٥) رقم ٢٨٧٩، والطبرانى فى المعجم الأوسط(٣٤٥/٣) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٥٨٩

[٤]انظر:جامع البيان (٢٧٦/٥)

[٥]انظرجامع البيان (٤٥٢/١)،تفسيرالسمعانى(٦٤/١)،السراج المنير(٤٤/١)،الجامع لأحكام القران (٢٦٣/١)

[٦]انظر:روح المعانى (٢٢٠/١)ط دارإحياءالتراث العربى

عليه السلام، وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره، لأنه أول رسول إلى الأرض، كما في حديث أبي ذر، قال قلت: يا رسول الله أنبيا كان مرسلا؟ قال: "نعم" الحديث. [١][٢]

أقول : وبناءاً على أقوال هؤلاء العلماء فهو يعد حجة على غيره لأن القاعدة الترجيحية تقول : **(أن يكون القول قول جمهور وأكثر المفسرين فإن كثرة القائلين بالقول تقتضى ترجيحه)** [٣]

رابعاً : أن الرأى القائل بأنه سمى بذلك؛ لأنه خلف الجن أي جاء بعدهم، لا سند له. وما رواه في ذلك ابن جرير حين قال حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك **عن ابن عباس أنه قال** : **(** أول من سكن الأرض الجن، فافسدوا فيها، وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً، فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقوهم بجزائر البحور وأطراف الجبال. ثم خلق آدم فأسكنه إياها، فلذلك قال: إني جاعل في الأرض خليفة**)** [٤] هو أثر ضعيف ضعفه العلماء[٥]

ووجه ضعفه أن فى إسناده ضعفاً وانقطاعاً كما يقول الإمام ابن كثير[٦]

يقول الإمام محمد عبده بعد عرضه لهذا القول القائل بأن الجن كانوا فى الأرض قبل خلق آدم **(** وأكثر ما قالوه فيه قد سرى إلى المسلمين من أساطير الفرس وخرافاتهم ، ومنه

---

[١] أخرجه الطبراني فى المعجم الكبير برقم (٧٥٤٥)انظرالمعجم (١١٨/٨)والحديث ذكره الألباني فى السلسلةالضعيفة حين عرضه لرواية تشبه الرواية التى معنافى المعنى وقال (صحيح على شرط مسلم)انظر:السلسلة الضعيفة (٦٠/٩)

[٢] انظر:الجامع لأحكام القران (٢٦٣/١)

[٣] انظر:جامع البيان (٤٥٠/١)

[٥] هذا الحديث ضعفه الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على تفسير الطبري قائلا: وقد روى الحاكم في المستدرك ٢٦٢/٢ خبرًا يشبهه في بعض المعنى ويخالفه في اللفظ وأما إسناد الطبري هنا فضعيف وسنذكر الضعف الذي أشار إليه ابن كثير:
أما عثمان بن سعيد، فهو الزيات الأحول، مترجم له في التهذيب، وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣\ ١\ ١٥٢، وروى عن أبيه أنه قال: "لا بأس به". وأما بشر بن عمارة، فهو الخثعمي الكوفي، وهو ضعيف، قال البخاري في التاريخ الكبير ٨١/٢ "تعرف وتنكر"، وقال النسائي في الضعفاء: ص ٦ "ضعيف"،وقال الدارقطني: "متروك"، وقال ابن حبان في كتاب المجروحين: ص١٢٥ رقم ١٣٢: "كان يخطئ حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد، ولم يكن يعلم الحديث ولا صناعته"، وأما شيخه أبو روق- بفتح الراء وسكون الواو- فهو عطية بن الحارث الهمداني، وهو ثقة، وقال أحمد والنسائي: "لا بأس به".وأما الانقطاع الذي أشار إليه ابن كثير، فمن أجل اختلافهم في سماع الضحاك بن مزاحم الهلالي من ابن عباس. وقد رجحنا في شرح المسند: ٢٢٦٢ سماعه منه.وكفى ببشر بن عمارة ضعفًا في الإسناد، إلى نكارة السياق الذي رواه وغرابته!!

[٦] تفسير القرآن العظيم ١١٣/١

أنه كان في الأرض قبل آدم خلق يسمون بالحن والبن ، أو الطم والرم ، والأكثرون على أن الخلق الذين كانوا في الأرض قبل آدم مباشرة كانوا يسمون الجن ، والقائلون منهم بالحن (بالمهملة) والبن قالوا : إنهم كانوا قبل الجن ، وقالوا : إن هؤلاء عاثوا في الأرض فسادا ، فأبادهم الله (كما تقدم آنفا) [1] وقالوا : إن الله – تعالى – أرسل إليهم إبليس في جند من الملائكة فحارب الجن فدحرهم وفرقهم في الجزائر والبحار . وليس لهم في الإسلام سند يحتج به على هذه القصص وليس لهم في الإسلام سند يحتج به على هذه القصص) [2]

خامساً : أن المعنى الذي اختاره الإمام البغوي ومن وافقه مطابق للفظ[3]، فهو قد فسّر اللفظ بمطابقه ومما يدل على ذلك الآية الكريمة **ويقول القرطبى** :

والمعني بالخليفة هنا – في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل – آدم عليه السلام، وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره، لأنه أول رسول إلى الأرض، كما في حديث أبي ذر، قال قلت: يا رسول الله أنبيا كان مرسلا؟ قال: "نعم" الحديث. [4] [5]

أقول : وبناءاً على أقوال هؤلاء العلماء فهو يعد حجة على غيره لأن القاعدة الترجيحية تقول : (**أن يكون القول قول جمهور وأكثر المفسرين فإن كثرة القائلين بالقول تقتضى ترجيحه**)

رابعاً: أن الرأى القائل بأنه سمى بذلك؛ لأنه خلف الجن أي جاء بعدهم، لا سند له. وما رواه في ذلك ابن جرير حين قال حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك **عن ابن عباس أنه قال** : (أول من سكن الأرض الجن،

---

(١) مراده بما تقدم آنفاً من ذكره لاختلاف المفسرين في معنى (الخليفة) إلى مذهبين : ذهب بعضهم إلى أن هذا اللفظ يشعر بأنه كان في الأرض صنف أو أكثر من نوع الحيوان الناطق وأنه انقرض ، وأن هذا الصنف الذي أخبر الله الملائكة بأن سيجعله خليفة في الأرض سيحل محله ويخلفه ، كما قال تعالى بعد ذكر إهلاك القرون : (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم) وقالوا : إن ذلك الصنف البائد قد أفسد في الأرض وسفك الدماء وأن الملائكة استنبطوا سؤالهم بالقياس عليه الخ انظر: الأعمال الكاملة ١٢٧/٤

(٢) انظر: الأعمال الكاملة ١٢٧/٤

(٣) دلالة المطابقة هى: دلالة اللفظ على معناه الموضوع له كدلالة غسل أعضاء الوضوء عليها جملة . انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ١٥٥/١ ، ط: دار الكتب العلمية - بيروت ، والتقرير والتحرير في علم الأصول لابن أمير الحاج ١٣١/١ ، ط : دار الفكر - بيروت

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٧٥٤٥) انظر: المعجم ١١٨/٨ والحديث ذكره الألبانى فى السلسلة الضعيفة حين عرضه لرواية ضعيفة تشبه الرواية التى معنا فى المعنى وقال (صحيح على شرط مسلم) انظر: السلسلة الضعيفة ٦٠/٩

(٥) انظر: الجامع لأحكام القران ٢٦٣/١

فافسدوا فيها، وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً، فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقوهم بجزائر البحور وأطراف الجبال. ثم خلق آدم فأسكنه إياها، فلذلك قال: إني جاعل في الأرض خليفة) [١] هو أثر ضعيف ضعفه العلماء[٢]

ووجه ضعفه أن فى إسناده ضعفاً وانقطاعاً كما يقول الإمام ابن كثير[٣]

يقول الإمام محمد عبده بعد عرضه لهذا القول القائل بأن الجن كانوا فى الأرض قبل خلق آدم (وأكثر ما قالوه فيه قد سرى إلى المسلمين من أساطير الفرس وخرافاتهم ، ومنه أنه كان في الأرض قبل آدم خلق يسمون بالحن والبن ، أو الطم والرم ، والأكثرون على أن الخلق الذين كانوا في الأرض قبل آدم مباشرة كانوا يسمون الجن ، والقائلون منهم بالحن (بالمهملة) والبن قالوا : إنهم كانوا قبل الجن ، وقالوا : إن هؤلاء عاثوا في الأرض فسادا ، فأبادهم الله (كما تقدم آنفا) [٤] وقالوا : إن الله – تعالى – أرسل إليهم إبليس في جند من الملائكة فحارب الجن فدحرهم وفرقهم في الجزائر والبحار . وليس لهم في الإسلام سند يحتج به على هذه القصص وليس لهم في الإسلام سند يحتج به على هذه القصص) [٥]

---

[١] انظر: جامع البيان ٤٥٠/١

[٢] هذا الحديث ضعفه الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على تفسير الطبرى قائلا: وقد روى الحاكم في المستدرك ٢٦٢/٢ خبرًا يشبهه في بعض المعنى ويخالفه في اللفظ وأما إسناد الطبري هنا فضعيف وسنذكر الضعف الذي أشار إليه ابن كثير:
أما عثمان بن سعيد، فهو الزيات الأحول، مترجم له في التهذيب، وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣\ ١\ ١٥٢، وروى عن أبيه أنه قال: "لا بأس به". وأما بشر بن عمارة، فهو الخثعمي الكوفي، وهو ضعيف، قال البخاري في التاريخ الكبير ٨١/٢ "تعرف وتنكر"، وقال النسائي في الضعفاء: ص ٦ "ضعيف"،وقال الدارقطني: "متروك"، وقال ابن حبان في كتاب المجروحين: ص١٢٥ رقم ١٣٢: "كان يخطئ حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد، ولم يكن يعلم الحديث ولا صناعته"، وأما شيخه أبو روق- بفتح الراء وسكون الواو- فهو عطية بن الحارث الهمداني، وهو ثقة، وقال أحمد والنسائي: "لا بأس به".وأما الانقطاع الذي أشار إليه ابن كثير، فمن أجل اختلافهم في سماع الضحاك بن مزاحم الهلالي من ابن عباس. وقد رجحنا في شرح المسند: ٢٢٦٢ سماعه منه.وكفى ببشر بن عمارة ضعفًا في الإسناد، إلى نكارة السياق الذي رواه وغرابته!!

[٣] تفسير القرآن العظيم ١١٣/١

[٤] مراده بما تقدم آنفاً من ذكره لاختلاف المفسرين في معنى (الخليفة) إلى مذهبين : ذهب بعضهم إلى أن هذا اللفظ يشعر بأنه كان في الأرض صنف أو أكثر من نوع الحيوان الناطق وأنه انقرض ، وأن هذا الصنف الذي أخبر الله الملائكة بأن سيجعله خليفة في الأرض سيحل محله ويخلفه ، كما قال تعالى بعد ذكر إهلاك القرون : (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم) وقالوا : إن ذلك الصنف البائد قد أفسد في الأرض وسفك الدماء وأن الملائكة استنبطوا سؤالهم بالقياس عليه الخ انظر: الأعمال الكاملة ١٢٧/٤

[٥] انظر: الأعمال الكاملة ١٢٧/٤

خامساً : أن المعنى الذي اختاره الإمام البغوي ومن وافقه مطابق للفظ[١]، فهو قد فسّر اللفظ بمطابقه ومما يدل على ذلك الآية الكريمة" **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" ص: ٢٦** فإن هذه الآية تقتضى أنه جعله خليفة عنه لإقامة أحكامه وتنفيذ ما أمره به **وقد ذكر هذا الرأى الإمام محمد عبده فقال :**

وذهب الآخرون إلى أن المراد: إني جاعل في الأرض خليفة عني؛ ولهذا شاع أن الإنسان خليفة الله في أرضه. وقال تعالى" **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ"ص : ٢٦.**[٢]

سادساً: أن الرأى الثانى الذى جعله الإمام مرجوحاً أيضاً وهو القائل بأنه سمى خليفة (لأنهم خلفًا يخلف بعضهم بعضًا) قد ذكره ابن جرير عن الحسن[٣] وبين علة قائليه **ولم يضعفه فحسب بل وأنكره وبين العلة فى ذلك قائلا :**

والذي دعا المتأوِّلين قولَه:"إني جاعلٌ في الأرض خليفة" -في التأويل الذي ذُكر عن الحسن- إلى ما قالوا في ذلك، أنهم قالوا إن الملائكة إنما قالت لربها- إذ قال لهم ربهم:"إني جاعلٌ في الأرض خليفة"-:"أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء"، إخبارًا منها بذلك عن الخليفة الذي أخبرَ الله جل ثناؤه أنه جاعله في الأرض لا عنْ غيره لأنّ المحاورة بين الملائكة وبين ربها عنهُ جرتْ. قالوا: فإذا كان ذلك كذلك -وكان الله قد بَرّأ آدم من الإفساد في الأرض وسفك الدماء، وطهَّره من ذلك- عُلم أن الذي عنى به غيرَه من ذرّيته. فثبت أن الخليفة الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء هو غيرُ آدم، وأنهم وَلدُه الذين فعلوا ذلك، وأن معنى الخلافة التي ذكرَها الله إنما هي خلافة قرن منهم قرنًا غيرَهم لما وصفنا.

وأغفل قائلو هذه المقالة، ومتأوّلو الآية هذا التأويل، سبيلَ التأويل. وذلك أنّ الملائكة إذ قال لها ربها:"إني جاعلٌ في الأرض خليفة"، لم تُضف الإفساد وسفك الدماء في جَوابها ربَّها إلى خليفته في أرضه، بل قالت:"أتجعل فيها من يُفسد فيها"؟ وغير مُنْكَر أن يكون ربُّها أعلمها أنه يكون لخليفتِه ذلك ذرّيةٌ يكون منهم الإفساد وسفك الدماء، فقالت: يا ربنا"أتجعل فيها من يُفسدُ فيها ويسفكُ الدماء". كما قال ابن مسعود وابن عباس، ومن حكينا ذلك عنه من أهل التأويل. [٤]

---

[١] دلالة المطابقة هى: دلالة اللفظ على معناه الموضوع له كدلالة غسل أعضاء الوضوء عليها جملة . انظر:التقرير والتحرير في علم الأصول لابن أمير الحاج ١٣١/١ ، ط : دار الفكر - بيروت

[٢] انظر: المرجع نفسه ١٢٧/٤

[٣] هذا القول ذكره الطبرى عن الحسن من غير إسناد بل قال بعد ذكره له وهذا قول حكى عن الحسن البصرى. انظر: جامع البيان ٤٥١/١

[٤] انظر: جامع البيان ٤٥٣/١

المسألة الثانية

كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بحبس أخيه مع علمه بشدة حزن أبيه عليه ؟

عند تفسير قوله تعالى" **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** " (يوسف : ٨٢)

اراءالعلماء فى **كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بحبس أخيه مع علمه بشدة حزن أبيه عليه ؟**

الأول : أنه عمل ذلك بوحي وأمر من الله عز وجل ، أمره الله عز وجل بذلك، ليزيد في بلاء يعقوب، فيضاعف له الأجر، ويلحقه في الدرجة بآبائه الماضين.

الثاني : إنه لم يظهر نفسه لإخوته؛ لأنه لم يأمن أن يدبروا في أمره تدبيرا فيكتموه عن أبيه

ترجيح الإمام البغوى –رحمه الله تعالى –

قال الإمام البغوي . رحمه الله . فإن قيل: كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه، وحبس أخاه مع علمه بشدة وَجْدِ[١] أبيه عليه، وفيه معنى العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة؟. قيل: قد أكثر الناس فيه، والصحيح أنه عمل ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى، أمره بذلك، ليزيد في بلاء يعقوب، فيضاعف له الأجر، ويلحقه في الدرجة بآبائه الماضين. وقيل: إنه لم يظهر نفسه لإخوته؛ لأنه لم يأمن أن يدبروا في أمره تدبيرا فيكتموه عن أبيه. والأول أصح.[٢]

(١) الوَجْد : مصدر وجد عليه : حزن . انظر إكمال الأعلام بتثليث الكلام لمحمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني ج٢ ص٧٤٨، ط : جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ المملكة السعودية ، تحقيق سعد بن حمدان الغامدي ، سنة النشر : ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

(٢) انظر معالم التنزيل ج٤ص٢٦٧ .

دراسة النص

ذكر الإمام البغوي- رحمه الله . اختلاف العلماء في الجواب على من قال : كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه، وحبس أخاه مع علمه بشدة وجد أبيه عليه، وفيه معنى العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة؟ على **قولين** :

الأول : أنه عمل ذلك بوحي وأمر من الله عز وجل ، أمره الله عز وجل بذلك ، ليزيد في بلاء يعقوب، فيضاعف له الأجر، ويلحقه في الدرجة بآبائه الماضين.

الثاني : إنه لم يظهر نفسه لإخوته؛ لأنه لم يأمن أن يدبروا في أمره تدبيرا فيكتموه عن أبيه .

وقد رجح الإمام البغوي . رحمه الله . القول الأول حيث قال والأول أصح .

التعليق:

قلت الذي يظهر والله أعلم أن ما رجحه الإمام البغوي . رحمه الله . من أن هذا الفعل من يوسف . عليه السلام . كان بأمر من الله عز وجل هو القول الراجح والمختار ، وذلك لوجود قرينة في سياق الكلام تدل على أن هذا الفعل كان بوحي من الله عز وجل وهي قوله "**كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**"يوسف : ٧٦) أي كذلك ألهمنا يوسف هذا الكيد حتى دس الصواع في رحل أخيه ليضمه إليه على ما حكم به إخوته .[١] والقاعدة الترجيحية تقول : " القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه "[٢] . والقاعدة الترجيحية تقول أيضاً : " أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله "[٣] .

([١])انظر لباب التأويل في معاني التنزيل ج ٣ ص٣٠٣ .
([٢])انظر قواعد الترجيح عند المفسرين ج١ ص٢٩٩ .
([٣])انظر التسهيل لعلوم التنزيل ج١ ص٩ .

قال الإمام أبو حيان . رحمه الله . : " والذي يظهر أن هذا التحيل، ورمى أبرياء بالسرقة ، وإدخال الهم على يعقوب ، بوحي من الله . لما علم . تعالد في ذلك من الصلاح ، ولما أراد من محنتهم بذلك . ويقويه قوله : كذلك كدنا ليوسف " .[1]

وقد قال بهذا القول كل من الأئمة : السمعاني ، وابن عطية ، والقرطبي ، وأبي حيان ، وابن عادل رحمة الله تعالى عليهم أجمعين .[2]

([1])انظر تفسير البحر المحيط ج٥ص٣٢٦ .

([2])انظر تفسير القرآن للسمعاني ج٣ص٥٦ ، انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٣ص٢٦٦ ، انظر الجامع لأحكام القرآن ج٩ص٢٣٥ ، انظر تفسير البحر المحيط ج٥ص٣٢٦ ، انظر اللباب في علوم الكتاب ج١١ص١٨٧ .